« الإحسان فيما تبقّى من رمضان »

محمد بن سليمان المهوس / جامع الحمادي بالدمام

الخُطْبَةُ الأُولَى

الْحَمْدُ للهِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ، اللَّطِيفِ بِالْعِبَادِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ نَبِيٍّ وَهَادٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِبْرَةٌ، وَفِي تَوَالِي الأَيَّامِ وَتَسَرُّبِ الأَعْمَارِ تَذْكِرَةٌ، أَيَّامٌ تَمْضِي وَتَمُرُّ ، وَفِي مُضِيِّهَا نَقْصٌ مِنَ الأَعْمَارِ وَدُنُوٌّ مِنَ الآجَالِ، وَقَدْ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونَ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونَ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ» وَالسَّعَفَةُ هِيَ الْخُوصَةُ.

[وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: أَيَّامٌ قَلَائِلُ تَبَقَّتْ لِتَوْدِيعِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَتَأَمَّلُوا سُرْعَةَ مُرُورِهِ ؛ وَهَكَذَا هُوَ عُمُرُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ كَنْزُهُ الْحَقِيقِيُّ

وَرَأْسُ مَالِهِ ، وَإِنَّ تَضْيِيعَهُ وَالتَّفْرِيطَ فِي دَقَائِقِهِ وَسَاعَاتِهِ وَأَيَّامِهِ لَمِنَ الْغَبْنِ وَالْخُسْرَانِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ؛ وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عِنْدَمَا قَالَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» [رواه البخاري]

لِذَلِكَ فَمِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ مَعَهَا الْعَبْدُ مَعَ قُرْبِ رَحِيلِ رَمَضَانَ : وَصِيَّةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – لِذَلِكَ الصَّحَابِيِّ الَّذِي هُوَ مِنْ آخِرِ الصَّحَابَةِ مَوْتًا ، وَقَدْ أَوْصَاهُ شَابًّا فِي الْعِشْرِينَ مِنْ الْعُمُرِ ، وَهُوَ بِحِسَابِ الزَّمَنِ فِي عُنْفُوَانِ الشَّبَابِ ، وَمُقْبِلَةٌ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ ، وَلَكِنَّ الْوَصِيَّةَ النَّبَوِيَّةَ تَأْتِيهِ أَنْ يَنْتَبِهَ لِلزَّمَنِ ، وَكَرِّ الدُّهُورِ ، وَسُرْعَةِ مُرُورِ الْأَيَّامِ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – الَّذِي قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. [رواه البخاري].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا زَالَ فِي الْوَقْتِ فُسْحَةٌ ، وَلِكَسْبِ الْخَيْرِ فُرْصَةٌ ؛ فَأَبْوَابُ الْجَنَّةِ مَا زَالَتْ مُفَتَّحَةً، وَأَبْوَابُ النَّارِ مُغْلَقَةً، وَالشَّيَاطِينُ مُصَفَّدَةً، وَعُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَلَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْ تَكُونُ فِيمَا تَبَقَّى مِنَ اللَّيَالِي، فَالْفُرْصَةُ مَا زَالَتْ سَانِحَةً، وَالْبَابُ مَفْتُوحٌ، وَقَدْ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ –

: «أَنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» [رواه البخاري ومسلم].

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ- وَأَحْسِنُوا وَدَاعَ شَهْرِكُمْ، وَاخْتِمُوا بِالْحُسْنَى أَعْمَالَكُمْ؛ فَإِنَّ الأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ، وَاغْتَنِمُوا مَا بَقِيَ وَلَوْ كَانَ يَوْمًا وَاحِدًا، فَأَوْدِعُوهُ مِنَ الصَّالِحَاتِ مَا يَكُونُ خَيْرَ شَاهِدٍ لَكُمْ يَوْمَ تَلْقَونَ رَبَّكُمْ ، وَعُمُرُ الْإِنْسَانِ لَا قِيمَةَ لَهُ إِلَّا بِمَا أَوْدَعَهُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

وَرَوَى اَلتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ – رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اَللَّهِ أَيُّ اَلنَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ :« مَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ » قَالَ : فَأَيُّ اَلنَّاسِ شَرٌّ ؟ قَالَ :« مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ »

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مُجَرَّدَ طُولِ اَلْعُمُرِ لَيْسَ خَيْرًا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا إِذَا أَحْسَنَ عَمَلَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَحْيَانًا يَكُونُ طُولُ اَلْعُمُرِ شَرًّا لِلْإِنْسَانِ وَضَرَرًا عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]

اَللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ، وَبُورِكَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الْحَمْدُ للَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تَعْظِيمًا لِشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ..

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ مَسَالِكِ الإِحْسَانِ فِي خِتَامِ شَهْرِكُمْ: إِخْرَاجَ زَكَاةِ الْفِطْرِ، فَهِيَ طَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ، وَعَطْفٌ وَأُلْفَةٌ، فَرَضَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- طُهْرَةً لِلصَّائِمِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، وَهِيَ صَاعٌ مِنْ طَعَامِ قُوتِ الْبَلَدِ، وَوَقْتُ إِخْرَاجِهَا الْفَاضِلُ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ صَلاَةِ الْعِيدِ، وَيَجُوزُ تَقْدِيمُهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، فَأَخْرِجُوهَا طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ، وَأَكْثِرُوا مِنَ التَّكْبِيرِ لَيْلَةَ الْعِيدِ إِلَى صَلاَةِ الْعِيدِ، تَعْظِيمًا للَّهِ، وَشُكْرًا لَهُ عَلَى التَّمَامِ، قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وَاحْرِصُوا عَلَى شُهُودِ صَلاَةِ الْعِيدِ، وَاحْضُرُوا الْخُطْبَةَ وَاسْتَمِعُوا وَأَنْصِتُوا وَأَمِّنُوا عَلَى الدُّعَاءِ؛ فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ لَكُمْ، وَاشْكُرُوا رَبَّكُمْ عَلَى تَمَامِ فَرْضِكُمْ، وَلْيَكُنْ عِيدُكُمْ مَقْرُونًا بِتَفْرِيجِ كُرْبَةٍ وَمُلاَطَفَةِ يَتِيمٍ، وَابْتِهَاجٍ وَفَرَحٍ، وَعَهْدٍ بِالْبَقَاءِ عَلَى الطَّاعَةِ وَالاِسْتِقَامَةِ، مَعَ حِرْصٍ عَلَى تَطْبِيقِ جَمِيعِ الاِحْتِرَازَاتِ الَّتِي أَوْصَتْ بِهَا وَزَارَةُ الصِّحَّةِ لِمَنْعِ انْتِقَالِ الْمَرَضِ وَانْتِشَارِهِ.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى نَبِيِّكُم كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- : «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا» [رَوَاهُ مُسْلِم].